



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 5.10.95.....
Photo No. : 209.....

ان لم يكن من اجل لبنان، فمن اجل سوريا

لن تنفع اذاً دعوات التعمّل، ولن تجدي مخاطبة حسنّ المواطنة عند من رُسموا مسؤولين. فالجميع سلّموا، او هم على طريق التسليم، بأن لا مصلحة للبنان خارج مستلزمات "الامن القومي" و"المعادلة الاقليمية"، الى ما هنالك من عبارات مستهلكة يراد منها الاشارة الى سوريا وعلاقتها المميزة بلبنان.

حسناً. لن نتكلم عن مصلحة المجتمع اللبناني في تجديد حياته السياسية، ولا عن حاجة الدولة اللبنانية الى تعديل كامل في هيئتها وعلاقتها بمن يفترض بها رعايتهم. لن نحكي عن لبنان البتّة، فجّل من يمكن مخاطبتهم في هذا الخصوص صاروا مفتنعين ان لبنان ليس الا مصدر اشتقاق لكلمة "لبنة"، كما في "لبنة القرار الاقليمي". ولكن... ولكن انتفاء الكلام عن لبنان ومصالحه وحاجاته لا يلغي اياً من الحجج التي سيقّت وتساقت منذ اشهر ضد الانقلاب على الدستور المبرمج له بعد اسبوعين، ولا يخفف من حدّة الصرخة التي يجب ان تطلق ضدّ تعليق القليل القليل مما بقي من قواعد ديموقراطية في هذا البلد.

فان لم يكن من اجل لبنان، فقد وجب اطلاق الصرخة من اجل سوريا نفسها.

والا، كيف نترك مجالاً لمستقبل لبناني مع سوريا؟
والا، كيف نضمن حظوظ سوريا في تحصين جبهتها على مأددة المفاوضات، أكانت سرية أم علنية؟

والا، كيف نحفظ امكان استمرار التنسيق بل تعميقه في مرحلة ما بعد التسوية، عندما ستكون العلاقات بين الدول في المنطقة قد تبدّلت، مع الدخول المحتمّ للطرف الاسرائيلي كلاعب مكشوف في الدبلوماسية العربية؟

بكلام اكثر صراحة، كيف نبذّ الاوهام الخظرة التي ما زالت تراهن عليها اقلية من اللبنانيين لجهة قلب الطاولة في وجه سوريا، إن من طريق الشريك الاميركي، او عبر اللاعب الاسرائيلي المستور؟

منذ اربع سنوات ونيف، دخلت عبارة "العلاقات المميزة" القاموس الرسمي للدولة اللبنانية وطاقمها السياسي. كان ذلك مع التوقيع على "معاهدة الاخوة والتنسيق" في ايار (٩٩) وقيام المجلس الاعلى اللبناني - السوري. لكن "العلاقات المميزة" لم تلبث ان تحولت عبارة طلمسية تستخدم من اجل تغطية خواء الحياة السياسية اللبنانية، وحياناً من اجل مفاقمته. وازحت وسيلة ابتزاز لبناني - لبناني قبل أن يكون سورياً - لبنانياً، يتناتشها اصدقاء سوريا في لبنان (ومن ليس صديقاً لها، أقله في العلقن؟).

صحيح ان إلقاء تبعه هذا التحول - التدهور في مفهوم العلاقات المميزة على الطاقم السياسي اللبناني وحده ينطوي على جلد النفس الهادف ابداً الى تبييض صفحة سوريا، وإن اخطأت. وصحيح ايضاً ان هناك تشجيعاً سورياً، او لنقل تشجيعاً من سوريين لهذا النمط من التعامل، وهذا طبيعي، فالطرف الاقوى يذهب تلقائياً الى الدرب الاسهل. لكن مسؤولية الطاقم الحاكم اللبناني تكمن هنا تحديداً. فعندما تكون العلاقات مميزة فعلاً، يصبح في امكان الطرف الاضعف، بل يصبح من واجبه تنبيه الاخوة في الطرف الاقوى الى الخطأ الحاصل، ومن ثم ارشادهم الى الحل الاكثر ملاءمة لخصوصيات لبنان، وتالياً لمصلحة سوريا.

ربما كان مثل هذا التعامل يتطلب رجال سياسة من طراز آخر، هذا الطراز الذي يبدو انه لا يتوافر في لبنان (ولا في الخارج اللبناني ايضاً). أم ترانا نفرط في التشاؤم، حيث بقي لنا اسبوعان حتى نعرف نهائياً أن كان الجسم السياسي خالياً فعلاً من هذا النوع من الرجال أم لا؟ بقي اسبوعان حتى يقف رجل واحد، وليس مهماً إن كان مرشحاً أم رئيساً لمجلس النواب، أم حتى رئيساً للجمهورية، ليقول ان تعديل الدستور على القياس، أكان بفقرة أم بفقرتين، هو قتل للعلاقات المميزة.

... إن لم يكن من اجل لبنان، فمن أجل سوريا على الاقل.

سمير قصير